التفكك الاسري واثاره على المجتمع

ورقة عمل مقدمة الى الوحدة الارشادية بالتعاون مع وحدة التعليم المستمر في كلية التربية للبنات بتاريخ 18|5|222

 من قبل

 أ.د.سالي طالب علوان

**-مقدمة**

لا یمكن إغفال دور الأسرة في التربیة ،فھي اللبنة الأساسیة لرعایة واحتواء الأبناء، وھي الحاضنة الرئیسة في إشباعھم الغرائز الفطریة من حب و حنان وحمایة، كما أنھا المنبع الذي یتلقى فیھا الأبناء المبادئ الأساسیة في التربیة السلیمة من حیث توجیھھم بأفكار تدعوھم إلى الأخلاق واحترام الحقوق وغیره من القیم، مما یعود بالخیر على العائلة والمجتمع الإسلامي ككل. غیر أنه تشھد بعض العائلات المعاصرة في العالم الإسلامي حالة من التشرد والتشتت والتفكك الأسري، والواقع أن لھذا الوضع أسباب عدیدة منھا: -

1. العنف والقسوة في التعامل مع الأبناء
2. إھمال الأبوین لرعایة الأبناء وعدم العنایة الكافیة وتوجیھھم
3. الطلاق و انفصال الزوجین الذي قد یؤدي إلى ضعف أو انعدام مراقبة وعنایة الآباء بالأبناء
4. انعدام الاستقرار النفسي و العاطفي في الأسرة بسبب تفكك الأسرة وما يؤدي عنھا من حرمان واحتواء عاطفي فیكون الأبناء لقمة سائغة لعالم الجریمة، والمخدرات، والانحلال الاخلاقي،والتطرف والإرھاب، عبر غسل أدمغتھم بأفكار مغایرة للإسلام الصحیح يؤدي بھم نحو العنف والتطرف و الإرھاب باسم الدین.
* ظاھرة التفكك الأسري :الأسرة ھي أول نظام اجتماعي عرفھا الإنسان، ورغم التغیر الاجتماعي الذي صاحب البشریة في مراحلھا المختلفة ،كانت الأسرة باختلاف أشكالھا و وظائفھا عبر مختلف الحقبات التاریخیة من أكثر المؤسسات الاجتماعیة تأثیرا وتأثرا، لما تقوم بھ الأسرة من تنشأة الأبناء، وإعدادھم للحیاة الاجتماعیة، لقیامھم في المستقبل بأدوارھم المتوقع منھم، وذلك أن تماسك النسق الاجتماعي رھن قیام الأسرة بوظیفتھا السامیة، حیث أن الأسرة وعاء الحضارة و الثقافة في المجتمع، لأنھا تحافظ على القیم والعادات والعقائد التي یتشربھا الطفل أثناء نموه و تنشئته الاجتماعیة .
* تعریف التفكك الأسري لم یتفق علماء النفس الاجتماعي على تحدید مفھوم التفكك الأسري، كما لم یتفقوا حول تسمیة المفھوم ذاته, فمنھم من یستخدم مفھوم التفكك الأسري لیعني فقدان أحد الوالدین أو كلیھما، أو الھجر، أو الطلاق، أو تعدد الزوجات، أو غیاب أحد الوالدین مدة طویلة، فیما یستخدم آخرون مفھوم البیوت المحطمة لیعني البیوت التي یحطمھا الطلاق أو الھجر أو موت أحد الوالدین أو كلیھما، ویستخدم فریق ثالث مفھوم التصدع الأسري لیشیر إلى تصدع الأسرة جراء تعدد الزوجات أو الطلاق أو وفاة أحد الوالدین أو كلیھما، فیما یذھب فریق آخر لاستخدام مفھوم الأسر المحطمة لیعني الأسر التي حطمھا الطلاق، أو الشجار المستمر، أو الوفاة، أو سجن أحد الوالدین، أو غیابھ لمدة طویلة ، وقد یعزى تعدد التسمیات المذكورة لمفھوم التفكك الأسري إلى ترجمة المفاھیم الأجنبیة، ولكن على الرغم من ذلك فثمة عناصر مشتركة فیما تتضمنھ تلك التسمیات من معان تتعلق بالطلاق أو الموت أو الھجر أو الغیاب طویل الأمد لأحد الوالدین ویمكن إضافة عناصر أخرى للمفھوم تتعلق بالفقر وعمل الوالدین، وعدم قدرتھم على تنشئة أبنائھم التنشئة السلیمة، وارتكاب أحد الوالدین أو كلیھما الرذیلة. وعلى ضوء ما سلف یمكن أن نلخص مفھـوم التفكك الأسري، إلى كونه یشیر إلى اختلال السلوك في الأسرة، وانھیار الوحدة الأسریة، وانحلال بناء الأدوار الاجتماعـیة لأفـراد الأسرة، جـراء عدد من العوامل والأسباب . كما یمكن أن یعرف بأنه: "انعدام الصلة والرابط الأسري المتین الذي یجمع أفراد الأسرة ،حیث تحل الخلافات والتنافر بدیلا عن التآزر و التلاحم وفقدان التواصل ،مع فقدان الرغبة في التواصل الأسري، لفقدان أو غیاب أحد الوالدین أو كلاھما، أو غیاب دورھما في لم شمل الأسرة ،بحیث یشعر كل فرد بأنه في معزل عن باقي أفرادھا داخل المنظومة الأسریة
* أسباب التفكك الأسري إن الوضع الطبیعي للأسرة ھو أن یسودھا جو من التوائم والتوافق والتفاھم بین أفرادھا، وتسود فیھا علاقات اجتماعیة قائمة على الحب والحنان والرعایة والمصالح المشتركة، ولكن یحدث في بعض الأحیان أن ینشرخ ھذا الوضع و تتصدع العلاقات الاجتماعیة مما یؤدي إلى تفكك الأسرة، والحقیقة أن التفكك الأسري یحدث لأسباب وعوامل عدیدة یمكن إیجازھا في: -
1. لطلاق: حیث أن انفصال الزوجین بسبب الطلاق یؤدي إلى تصدع العلاقات الاجتماعیة داخل المؤسسة الأسریة، ویؤثر بشكل مباشر على الأبناء تأثیرا سلبیا ،و یُعد أخطر مظھر من مظاھر التفكك الأسري، على أساس أنه یھدف إلى انفصال الزوجین وابتعادھما شرعا وقانونا، و منه تتھدم الخلیة الأسریة وینقطع نسیجھا، وتنحل وحدتھا وكیانھا، مما یؤدي إلى انھیار الأدوار بین أفرادھا . ویعتبر الطلاق حدثا مشؤوما على الطفل وهو من أھم سمات التفكك الأسري، فبعد أن كان یعیش في داخل أسرته وفي أحضان والدیه وفي كنف الحب والعطف والحنان والطمأنینة، أصبح یعیش خارج ھذا العطف والحنان مما یُسبب له صدمة عاطفیة ، وعدم قدرته من التكیف مع حیاته الجدیدة بعد طلاق والدیه ویعرضه لاضطرابات نفسیة، مما یؤدي إلى زجه للعنف وغیاھب الآفات الاجتماعیة ، فمن آثار الطلاق على الأطفال تعرضھم للكثیر من المآسي والضیاع نتیجة لعدم كفایة المؤسسات والتنظیمات التي یكون من مھامھا الأساسیة رعایة ھؤلاء الأطفال، وحتى وإن كان أحد الآباء ھم الذین یرعون الأطفال فلا شك أن الطفل في حاجة لرعایة أبویة مشتركة، فالأم وما تضفیه من حنان ورعایة على الطفل والأب ورعایته الدائمة له وتوجیھه أمر ھام**2** . - وفاة أحد الوالدین أو كلیھما,السجن لأحد الوالدین .**3**- عدم التوافق بین الزوجین لأسباب عدة منھا الاختلاف الفكري والاجتماعي وغیرها. **4**-انخفاض دخل الأسرة بسبب البطالة أو غیره .**5**- تدخل بعض الأقارب كأھل الزوج أو الزوجة في أمور الأسرة .**6**- سكن بعض الأقارب مع الأسرة ومشاركتھم المادیة والمعنویة للأسرة ,7-عدم ملائمة المنزل الذي تقیم فیھ الأسرة، فقد یكون المسكن ضیقا مما یؤدي إلى نفور أفرادھا و خروجھم خارج المنزل ,**8**-العنف الأسري: أي العنف اللفظي والبدني والنفسي والجنسي ,**9**- إدمان أحد الوالدین على المخدرات أو المشروبات الكحولیة ، حیث تشیر الإحصائیات إلى أن نسبة التفكك الأسري في أسر المدمنین تزید على سبعة أضعافھا في أسر غیر المدمنین، فكما ھو معلوم، فإن المدمن یفقد القدرة على القیام بأعباء الأسرة وأعباء العمل جراء تدھوره صحیًا واجتماعیًا واقتصادیًا، فیصبح عبئًا على الأسرة وعامل ھدم لبنائھا . كما قد تنشأ الأزمات الأسریة جراء حالات الاضطرابات العقلیة والنفسیة والأمراض المستعصیة التي قد یصاب بھا أحد أفراد الأسرة، مما قد ینعكس سلبًا على بقیة أفراد الأسرة، فتسود الأسرة مشاعر الاكتئاب والإحباط والیأس من الحیاة وفتور العلاقات الأسریة ,تقلص أوقات التفاعلات الأسریة ,غیاب أحد الوالدین بسبب الھجرة.

 رغم وجود الأسرة معا، فقد صاحب التغییر في وسائل الاتصال والإعلام عزلة نسبیة لأفراد الأسرة لمشاھدة التلفزیون أو التعامل مع الحاسب الآلي و شبكة المعلومات و الھواتف الذكیة ،فقد حدا ھذا الوضع عند بعض الباحثین إلى افتراض أن بعض الأسر أصبحت مؤسسات إیواء لبعض أعضاءھا ، وفي السنوات الخمس الأخیرة قام عدد من الباحثین الأمریكیین بدراسات على مستخدمي الإنترنت، كان من أبرز نتائجھا تناقص التواصل الأسري بین أفراد الأسرة، وتضاؤل شعور الفرد بالمساندة الاجتماعیة من جانب المقربین لھ، وتدني المؤشرات الدالة على التوافق النفسي والصحة النفسیة، وھو ما یُتوقع أن ینتج عنھا خلافات وتفكك داخل الأسر التي تعاني من إسراف بعض أفرادھا في استخدام شبكة الإنترنت . اضافة إلى ذلك فإن ھذه الأسر ورغم أنھا تعیش في أسرة واحدة غیر أنھم یفشلون في إقامة علاقات أسریة متكاملة بينھم، وھو ما یسمیھا Gooke William في كتابه الأشكال الرئیسیة لتفكك الأسرة بأسرة القوقعة الفارغة، لتبقى العلاقات العاطفیة فیما بینھا ضمن الحدود الدنیا . ان انشغال أحد الأبوین أو كلیھما وانسحابھما من مسؤولیة رعایة أبناءھم وجعلھم تحت رحمة الشارع تارة، والبرامج التلفزیونیة ومواقع التواصل الاجتماعي، اضافة إلى ذلك خروج المرأة للعمل، وكثرة الانشغالات التي یفرضھا الواقع المعاصر على الوالدین نتیجة تعقیداته المتعددة، فأصبحت الكثیر من العائلات لا تولي اھتمامھا لتربیة أبناءھا، بل كثیرا ما نجد من تعتبرھا من مسؤولیة المدرسة فقط، حتى أصبحت لا تستطیع متابعتھم بالشكل الذي یحصنھم من كل الآفات والانحرافات، بدلیل أن ھناك من الآباء من لا یعرف مكان تواجد أبناءھم طیلة السنة خارج المدرسة أو داخلھا، ولا یعرفون من یخالطون، ولا یستفسرون من أین یملكون بعضا من النقود أو الأشیاء الثمینة وغیره . الشجار بین الزوجین: وھو ما یجسد طبیعة الصراع والتوتر بین الزوجین، على الرغم أن الشجار قد لا یستمر لفترة طویلة نظرا لطبیعة الحیاة الیومیة، وما تفرضه من ضرورة استكمال سیرورة الحیاة الیومیة، لكن ذلك یترك الأثر السلبي على نفسیة الزوحین والأبناء فیما بعد.

 **-الآثار الاجتماعیة لظاھرة التفكك الأسر**ي : مما لا شك فيه أن للوسط الأسري الذي یعیش فیه الطفل أثر بالغ على شخصیته وقیمه وأفكاره وسلوكه ,فإذا كان الجو الأسري يسوده الاضطراب والارتباك الأسري نتیجة تفكك العلاقات الاجتماعیة بین الأفراد، وغیاب السلطة الضابطة التي توجھه وتحكم سلوكه في مختلف مراحل حیاته خاصة مرحلتي الطفولة والمراھقة، باعتبارھما الأساس الذي تتكون منه شخصیة الطفل مستقبلا، فأن الأطفال يكون مصیرھم الشارع واتجاھھم ستكون فیما بعد إلى سلك الجریمة والعنف. وتتعدد آثار التفكك الأسري على النظام الاجتماعي ویمكن حصر أھم تجلیاتھا ومظاھرھا : في بعض الأحیان تھیئ الظروف لانحراف أفراد الأسرة، خصوصاً الأولاد من البنین والبنات، فعندما تتفكك الأسرة ویتشتت شملھا، ینتج عن ذلك شعور لدى أفرادھا بعدم الأمان الاجتماعي، وضعف القدرة لدى الفرد على مواجھة المشكلات، فيتحول ابنائها للبحث عن أیسر الطرق وأسرعھا لتحقیق مايريدون، دون النظر لشرعیة الوسیلة المستخدمة في الوصول للھدف، والشاھد على ذلك الشباب الذین ینجرفون في طریق الإجرام والرذیلة ،حیث ینحرفون ویقعون في سلوك إجرامي نتیجة لتفكك أسرھم, بسبب عدة عوامل ولهذا قد برزت مظاھر الانحراف لدى المجتمعات الإسلامیة، وھو ما نلاحظه من خلال تنوع مظاھر الانحراف لدى الشباب المسلم، حیث اتخذت أشكالا عدة وھي في تزاید مستمر.

 -الإرھاب : يؤدي التفكك الأسري في الغالب إلى ضعف أو انعدام مراقبة ومتابعة أولیاء الأُمور لسلوكیات وتصرفات الأبناء، الأمر الذي قد یدفعھم إلى الاختلاط ببعض اصدقاء السوء الذین یقودونھم بطریقة أو بأخرى إلى الضیاع والانحراف، ومن ثم یتشكل عندھم ما یمكن أن یُسمى بالانحراف الفكري الذي یؤدي إلى الكثیر من السلبیات التي منھا أعمال الإرھاب الإجرامیة . وبسبب التفكك الأسري وضعف المساجد في أداء دورها الحضاري في استقطاب وتوجیه الشباب ،حیث تتجه بعض الخطب في المساجد إلى الخوض في قضایا جدلیة وصراعات فكریة و سیاسیة مستوحاة من التاریخ ،تزید الشباب اشمئزازا وتشاؤما من ھویتھم الحضاریة والتاریخیة ،كما یستعمل في أحیان أخرى أسلوب التحریض على الكراھیة والتكفیر والتحریم لكل ما یتماشى مع عقلیة ولغة الشباب، مما یُنمي أفكار نمطیة سلبیة اتجاه ھذه المؤسسة التربویة الدینیة، في حین تتجه بعض المساجد لتنمیة التطرف الدیني والفكري الذي یجعل لھا القابلیة للاستقطاب من أي جماعة تشبع لهم الحاجة للانتقام أو نُصرة الدین حتى و لو كان بالقتل .